المكانة الاستراتيجية لإقليم كردستان في العلاقات العراقية - التركية بعد عام 2003: المصالح والتحديات

TRENDS
ترينـدز للبحوث والاستشارات
TRENDS RESEARCH & ADVISORY

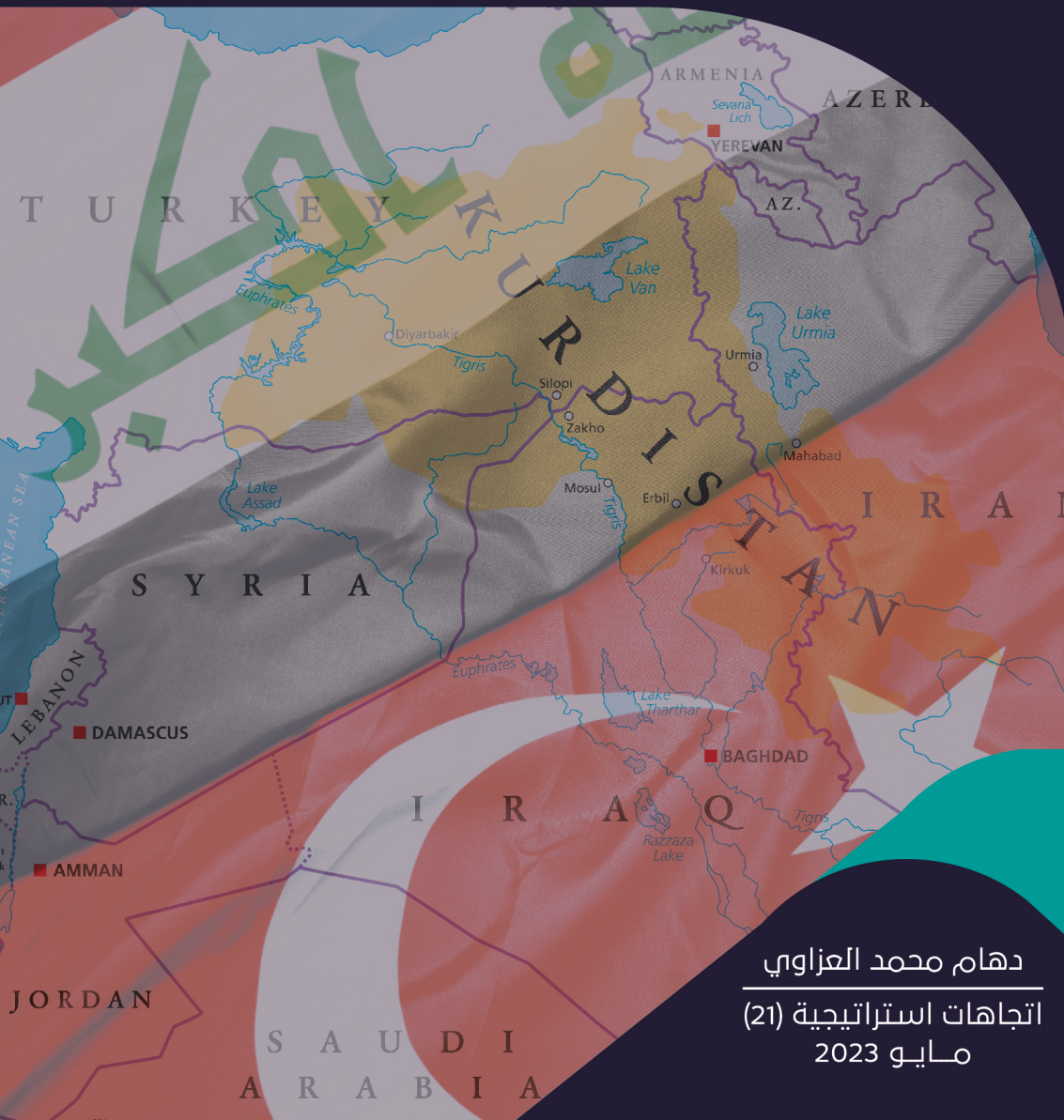

دهام محمد العزاوي

اتجاهات استراتيجية (21)
مـايـو 2023

المحتويات

ملخص تنفيذي	7
المقدمة	9
أولًا: العلاقات العراقية - التركية بعد عام 2003	18
ثانيًا: الأهمية الاستراتيجية لإقليم كردستان بعد عام 2003	36
ثالثًا: تحديات العلاقات العراقية - التركية	43
رابعًا: مستقبل التأثير الكردي في العلاقات العراقية - التركية	50
الخاتـمة	67
قائمة المراجع	71
نبذة عن المؤلف	81

المقدمة

يجتمع العراق مع تركيا في جملة واسعة من القضايا، التي تجعل علاقاتهما وثيقة وقوية، فهي ليست علاقات مستحدثة، بل لها جذور تاريخية متينة، منذ العهد العثماني الذي خضع له العراق لفترة طويلة، حتى سقوط الإمبراطورية العثمانية، وتقسيم تركتها بيد الدول الاستعمارية بعد الحرب العالمية الأولى (1914- 1918).

وتشكل الروابط الثقافية المشتركة، والتداخل العرقي الممتد عبر حدود البلدين، والناجم عن وجود الأكراد والتركمان، عاملًا مهمًا يُضاف إلى جملة العوامل الاقتصادية والاجتماعية والتجارية، التي ربطت علاقات البلدين استراتيجيًا، وجعلت الانفكاك والقطيعة أمرًا مستحيلًا.

وقد زادت تلك العلاقات تجذرًا مع تصاعد الارتباطات الاقتصادية ما بين تركيا وإقليم كردستان العراق، بسبب الاستثمارات الواسعة التي قامت بها الشركات التركية في عموم العراق، وفي إقليم كردستان بشكل خاص، بعد عام 2003، فضلًا عن تصاعد ملف أزمة المياه، التي بدأ العراق يعاني من آثارها السلبية على واقعه الزراعي والاقتصادي، نتيجة سياسة بناء السدود التي انتهجتها الحكومة التركية في مناطق جنوب شرق تركيا منذ منتصف تسعينيات القرن الماضي، والتي أخذت تقلل من منسوب التدفقات المائية التي تدخل إلى العراق من نهري دجلة والفرات، اللذين ينبعان من الأراضي التركية. وقد فاقمت الزيادة العشوائية للسكان حاجة العراق الماسة إلى هذين النهرين، لريّ الأراضي الزراعية وسد الحاجة العامة من مياه الشرب والزراعة، وهو الأمر الذي

أثـار في كثـير مـن الأحيـان مشـكلات سياسـية، وأدى تعـارض المصالـح إلى إربـاك العلاقـات العراقيـة - التركيـة، بسـبب مـا ترتـب عـلى حصـة العـراق مـن مشـكلات نتيجة نقص الإطلاقات المائية من الجانب التركي.

ولا يمكـن نسـيان البعـد الأمنـي الـذي تحكّـم سـلبيًا في العلاقـات العراقيـة - التركيـة نتيجـة متغـيرات المسـألة الكرديـة، والناجمـة بشـكل أسـاسي عـن أنشـطة حـزب العـمال الكردسـتاني الـتركي المعـارض (PKK)، والـذي ظـل يشـن منـذ منتصـف ثمانينيـات القـرن العشريـن هجـمات عـلى القـوات التركيـة ومصالحهـا، انطلاقًـا مـن الأراضي العراقيـة، مـع مـا يثيره تواجـد الحـزب العسـكري والسـياسي في بعـض مناطق الإقليـم مـن آثـار سـلبية عـلى العلاقـات العراقيـة -التركيـة بشـكل عـام، وعـلى علاقات تركيا بإقليم كردستان على وجه الخصوص.

ويطـرح الوجـود التركـماني في العـراق إشـكاليات متعـددة لهـا انعكاسـاتها السـلبية عـلى علاقـات البلديـن، إذ كثـيرًا مـا اعتـبرت تركيـا وجـود التركـمان في العـراق بوابـة لهـا للتدخـل في بعـض الأحيـان في الشـأن العراقـي، بحجـة حمايـة مصالـح التركـمان، ولا سـيّما في محافظـة كركـوك التـي تَعُدُّهـا تركيـا جـزءًا مـن مصالحهـا القوميـة، إضافـة إلى مدينـة الموصـل التـي تتجـدد المطالـب التركيـة باسـتعادتها بـين فـترة وأخرى، استنادًا إلى ادعاءات تاريخية.

هـذا العـداء المسـتحكم بـين التركـمان والأكـراد في العـراق، يُضيـف بُعْـدًا إضافيًـا للتدخـل الـتركي في الشـؤون العراقيـة، ولا سـيّما بعـد سـقوط النظـام السـياسي عـام 2003، وبـروز الأكـراد بوصفهـم شركاء فاعلـين في العمليـة السياسـية في العـراق، وحصولهـم عـلى الفيدراليـة شـبه المسـتقلة في شـمال العـراق، ومسـاعيهم لضـم مدينـة كركـوك الغنيـة بالنفـط إلى الفيدراليـة، مـع مـا يعنيـه ذلـك مـن إنعـاش الآمـال الكرديـة بالانفصـال عـن العـراق، وإثـارة مشـكلات الحـدود مـع تركيـا، ومـد التمـرد الكـردي في تركيـا بمزيـد مـن وقود الاستمرار والتمدد، وبالشكل الذي يهدد الأمن القومي التركي.

وهكـذا يثـير وجـود إقليـم كردسـتان تحديـات وإشـكاليات واضحـة أمـام اسـتمرار العلاقـات الإيجابيـة بـين تركيـا والعـراق، فقـد بـات الإقليـم يشـبه بيضـة القبـان، في ترجيـح تلـك العلاقـات وتأزمهـا، حتـى باتـت علاقـات البلديـن محكومـة إلى حـد بعيـد بمـا يصـدر عـن إقليـم كردسـتان مـن سياسـات إراديـة أو غـير إراديـة، الأمـر الـذي يـبرز أهميـة دراسـة وضـع الإقليـم في تلـك العلاقـة، وأهميـة الـدور الـذي يمكـن أن يقـوم بـه في بلـورة علاقـات تتميـز بالتصالـح والتعـاون، وبمـا يخفـف مـن ثقـل المشـكلات التـي تعـترض سـبيل العلاقـات بـين البلديـن. مـع العلـم بـأن المشـكلة الكرديـة مـا تـزال تلقـي بظـلال تاريخيـة ثقيلـة عـلى علاقـات البلديـن، ولا سـيّما في تركيـا التـي ظـل أمنهـا القومـي يعـاني مـن التبعـات السـلبية للحركـة القوميـة الكرديـة، منـذ أن بـدأت بالظهـور بوصفهـا نتيجـةً مـن نتائـج الحـرب العالميـة الأولى (1914- 1918).

ونتيجـة ضغـط الحلفـاء، أقـرت تركيـا معاهـدة سـيفر في 10 أغسـطس عـام 1920، والتـي تضمنـت تخـلي الدولـة العثمانيـة عـن جميـع الأراضي التـي يقطنهـا غـير الناطقـين باللغـة التركيـة، وأعطـت للأكـراد في الدولـة العثمانيـة حـق تقريـر المصـير، إلَّا أن الزعيـم الـتركي مصطفـى كـمال أتاتـورك بعـد أن شـن حـرب الاسـتقلال الوطنيـة واسـتعاد سـيطرته عـلى أراضي الدولـة التركيـة، تمكـن مـن إرغـام الحلفـاء عـلى التوقيع عـلى معاهـدة لـوزان عـام 1923، والتـي لم تـأتِ عـلى أي ذكـر لحـقّ الأكـراد في تقريـر المصـير. وبالرغـم مـن مشـاركة الأكـراد في حـرب التحريـر الوطنيـة، فـإن مصطفـى كـمال أتاتـورك لم يُشركهـم في غنيمـة الانتصـار، إذ سرعـان مـا تـم تجاهلهـم، بـل إن العقيـدة الكماليـة الجديـدة أطلقـت عليهـم لقـب «أتـراك الجبـل»، وعَدّتهـم أتـراكًا يجـب تمدينهـم وإدخالهـم في قالـب الدولـة العلمانيـة الجديـدة[1]، وهـو مـا دفـع الأكـراد لرفـع رايـة التمـرد العسـكري عـلى حكومـة أتاتـورك بقيـادة الشـيخ سـعيد

1. عقيـل محفـوض، تركيـا والأكـراد: كيـف تتعامـل تركيـا مـع المسـألة الكرديـة؟ (الدوحـة: المركـز العـربي للأبحـاث ودراسة السياسات، 2012)، ص 14 .

بـيران، إذ تمكنـت قواتـه مـن محـاصرة القـوات التركيـة في منطقـة آمـد في جنـوب شرق تركيـا، غـير أن القـوات التركيـة تمكنـت في 10 مايـو 1925 مـن القضـاء عـلى حركـة التمـرد واعتقـال الشـيخ سـعيد وإعدامـه مـع رفاقـه مـن شـيوخ العشـائر الكرديـة في يوم 28 يونيو من العام نفسه[2].

بعـد قمـع حركـة الشـيخ سـعيد بـيران، انطلقـت انتفاضـة جديـدة للكـرد بقيـادة سـيد رضـا عـام 1937 مـن مدينـة ديرسـم في شرق تركيـا، احتجاجًـا عـلى قانـون إعـادة التوطـين عـام 1934، والنقـل القـسري للسـكان الكـرد العلويـين، وعـلى سياسـة التتريك التـي بدأتهـا الحكومـة التركيـة ضـد الأكـراد والقوميـات غـير التركيـة. وقـد عَـدَّ البعض انتفاضـة سـيد رضـا أكـبر انتفاضـة كرديـة في تاريـخ تركيـا بعـد ثـورة الشـيخ سـعيد، إذ اسـتمرت مـا يناهـز ثـلاث سـنوات (1936-1938)، قُتـل فيهـا الآلاف وشُرّد داخليًـا الكثيرون، وانتهت بقتل الجيش التركي لسيد رضا ورفاقه[3].

لم تشـهد العقـود الأربعـة اللاحقـة أي حركـة كرديـة مسـلحة، بسـبب إجـراءات القمـع القومـي التـي مارسـتها الحكومـات التركيـة ضـد الأكـراد، وبسـبب ضعـف التنظيـم وغلبـة الشـعور القبـلي لـدى الكـرد، وعـدم ظهـور قيـادات كرديـة قـادرة عـلى قيـادة الكـرد بمسـؤولية، إضافـة إلى النقـص الواضـح في الكـوادر الكرديـة المثقفـة ذات الوعي القومي[4].

2. يعتقـد بعضهـم أن ثـورة الشـيخ سـعيد بـيران في شرق الأناضـول لم تسـتند إلى مشـاعر عرقيـة، إنمـا ثـار الأكـراد آنـذاك بعواطـف دينيـة رافعـين شـعار «ضـاع الديـن» ضـد عهـد مصطفـى كـمال أتاتـورك الـذي رفـع شـعار العلمنـة ومحاربـة الديـن الإسـلامي ومظاهـره المتغلغلـة في نفـوس أفـراد الشـعب الـتركي والكـردي. وبالفعـل حكمـت الدولـة عـلى الشـيخ سـعيد ورفاقـه بالإعـدام بذريعـة أنهـم يريـدون إقامـة دولـة دينيـة. انظـر: نـوزات صـواش، الأكـراد في الانتخابات التركية، الجزيرة نت، 3 أكتوبر 2004، على الرابط: https://bit.ly/3e502Xy

3. هـنري بـاركي وآخـرون، القضيـة الكورديـة في تركيـا، ترجمـة هـه فـال (أربيـل: مؤسسـة موكريـاني للبحـوث والنـشر، 2007)، ص 22 .

4. حنـا عـزو بهنـان، قضيـة حـزب العـمال الكردسـتاني وانعكاسـاتها عـلى العلاقـات العراقيـة التركيـة 1984- 2007، مجلة دراسات إقليمية، العدد 12، مركز الدراسات الإقليمية، جامعة الموصل، 2008، ص 213 .

وقد استثمرت الحكومات التركية المتعاقبة تلك الفترة لممارسة سياسات التتريك وصهر القوميات غير التركية في قالب الطورانية التركية، والتي تعني وحدة الأعراق غير التركية واندماجها في الهوية التركية، عبر أساليب الاستيعاب الثقافي وفرض اللغة والثقافة التركية على المناطق الكردية، ومنع تعلم اللغة الكردية، وتحريم إنشاء أحزاب كردية على أساس قومي، واستمرار نقل السكان الأكراد من مناطقهم إلى مناطق أخرى داخل تركيا، وهو ما أسهم في تصاعد الكراهية القومية بين الأكراد والأتراك، ولعب دورًا في عودة التمرد الكردي، وبشكل مكثف هذه المرة، من خلال الحركة المسلحة التي أطلقها حزب العمال الكردستاني بزعامة عبد الله أوجلان عام 1984، لاستعادة ما يدعيه الأكراد حقوقًا قومية مستلبة للشعب الكردي[5].

جديرٌ بالذكر أن مرحلة السبعينيات من القرن العشرين شهدت ظهور أحزاب كردية تركية متعددة مارست العمل السياسي، كالحزب الديمقراطي الكردستاني التركي الذي تأسس عام 1974، والحزب البروليتاري الكردستاني، ومنظمة دة قرة بارتي في عام 1978، إلَّا أن حزب العمال الكردي المعارض (PPK)، كان أكثر التنظيمات الكردية ظهورًا وتنظيمًا واستمرارًا، إذ أخذ الحزب نصيبًا كبيرًا من الاهتمام المحلي والدولي، نظرًا إلى تبنيه منهج العنف الثوري ضد الجيش التركي، لاستعادة ما يدعيه الحزب حقوقًا قومية مسلوبة للشعب الكردي في المناطق الجنوبية الشرقية من تركيا، إذ رفع الحزب منذ ظهوره عام 1979 شعار الكفاح المسلح لتأسيس دولة كردية في جنوب شرق تركيا، لمواجهة أساليب القمع والبطش والاضطهاد التي تمارسها الحكومات التركية ضد الشعب الكردي، فالعنف لا يولد إلَّا العنف بحسب تعبير زعيمه عبد الله أوجلان[6].

وقد حققت العمليات المسلحة التي قام بها أنصار الحزب، والتي انطلقت عام 1984، مكاسب سياسية داخلية وخارجية، وأخذت تلقي بظلالها على

5. المصدر نفسه، ص 215.

6. أشواق أحمد منـاف عبد المقصود، حزب العمال الكردستاني وتطور المسألة الكردية في تركيا، مجلة كلية الآداب، العدد 57، جامعة بني سويف، 2020، ص 308 .

علاقات تركيا مع محيطها الدولي والإقليمي، وتؤثر في شرعية الحكومات التركية داخليًا، نظرًا إلى الثقل الذي يمثله الأكراد في تركيا، والتعاطف - بل والدعم - الذي أخذ يتلقاه الحزب من الدول المتنافسة مع تركيا، إضافةً إلى الوضع السياسي والاقتصادي الذي بدأ يتميز به إقليم كردستان العراق بعد سقوط نظام صدام حسين عام 2003، والذي زاد من قوة الحزب العسكرية والسياسية، إذ أخذ ينسج علاقات متميزة مع الأحزاب الكردية العراقية، مستغلًا حالة الفراغ الأمني في الإقليم، كملاذ آمن لشن مزيد من الهجمات العسكرية ضد القوات التركية، وهو الأمر الذي أخذ يشكل عقدة سياسية مستدامة في علاقات تركيا مع العراق، وأبرز بقوة الطرف الكردي بجناحيه: العراقي (الأحزاب الكردية)، والتركي (حزب العمال الكردستاني)، كفاعل أساسي في تشكيل مستقبل العلاقات بين البلدين.

أهمية الدراسة

تكمن أهمية الدراسة في الدور المحوري الذي بات يلعبه إقليم كردستان العراق في العلاقات العراقية - التركية بعد عام 2003، سلبًا وإيجابًا، سواء من جهة الانفتاح الاقتصادي التركي على إقليم كردستان، وعمل مئات الشركات والخبراء الأتراك في قطاعات تنموية مختلفة في الإقليم، أو من جهة التعاون الذي أبدته حكومة الإقليم مع الحكومة التركية في مكافحة العمليات الإرهابية لتنظيم داعش، وعمليات التمرد لحزب العمال الكردستاني التركي المعارض، الذي يتخذ من بعض مناطق الإقليم، ولا سيّما في جبال قنديل وسنجار في محافظة نينوى، ملاذًا آمنًا لشن عملياته ضد القوات التركية، بالإضافة إلى التنسيق السياسي والأمني المشترك بين تركيا وحكومة الإقليم أثناء الحرب الأهلية في سوريا، إذ التزمت حكومة الإقليم الصمت إزاء التطلعات القومية التي أبدتها قوات سوريا الديمقراطية وجناحها السياسي في شرق سوريا (الإدارة الذاتية) وتعاونها العلني مع قوات حزب العمال ضد الجيش التركي. ولا شك في أن

لمتابعة القراءة
اشتري الإصدار

ترينـدز للبحـوث والاسـتشـارات

TRENDS RESEARCH & ADVISORY

ISBN 978-9948-793-25-0

trendsresearch.org

@TrendsRA

trendsra

Info@trendsresearch.org

Trends Research and Advisory

trendsresearch